فى السرقات الأدبية

كان المغفور له الشيخ حمزة فتح الله مولعا بالغريب فى شعره ونثره ، حتى لقد أصبح قوله الألغاز والمعميات ، وأغرت هذه الخلة به صديقه شاعر الجمال المرحوم إسماعيل صبرى باشا ، فنظم قصيدة بأسلوبه وعلى طريقته فى شكوى شركة « كوك » البحرية ، وأعطاها إلى صديقه شيخ المروبة المرحوم أحمد زكى باشا فكتبها مزوراً خط الشيخ فتح الله الذى كان ينزع إلى محاكاة إملاء أهل المغرب ، وبعث شيخ المروبة بالقصيدة إلى صحيفة « المؤيد » فنشرتها فى صدرها ، وأحدثت بطبيعة الحال دوياً ، واستمرت رجفتها شهراً كاملا يتفاقل الأدباء أبياتها معجبين لأنهم لا يكادون يفهمون منها شيئا لشدة ولع « عميد المفتشين » بالغريب وحوشى الألفاظ . ونذكر من هذه القصيدة العجيبة هذه الأبيات الثلاثة :

أيا يذا (الفنصل) المزجى زواجره
صوب السفين وثوب السوس سربله
أشكوك (كوكك) كى نيكف عن نكب
إذ كان كلا وكل مل كلكله
أباتنى والجرشى حشوها ضجر
إن مس شقى خشب الفلك قلقله

ولما طالع الشيخ حمزة فتح الله القصيدة فى صدر (المؤيد) أعجب بها إعجابا شديداً ، وحين هنأه عليها أصحابه لم يقبل التهنئة فقد كان رجلا ورعا تقياً وإنما قال « هذا الكلام كلامى ولكنى ما قلته » . ولما أطلع على أصل القصيدة فى إدارة الصحيفة قال « وهذا الخط خطى ولكنى ما كتبته » وبقى الأمر سراً حتى توفى الشيخ حمزة وعندئذ أفشاه شاعر الحب والجمال !

ونحن إذ نروى هذه القصة إنما نريد منها أن نعرف متانة خلق رجل من أعلام البيان أبى عليه ورعه أن ينسب لنفسه كلاما لم يقله ، وما كان ضره لو هو سكت ، وبخاصة أن صبرى باشا الشاعر لم يكن بالرجل المشنع الكثير الكلام ، وقد أراد رحمه الله أن يداعب شاعراً آخر من شعراء زمانه ، فأرسل إلى إحدى الصحف قصيدة مهجورة بتوقيعه - توقيع الشاعر لا توقيع صبرى باشا - ثم لفيه من غده فهنأه بالقصيدة ، فقبل الشاعر التهنئة شاكراً !

فذانك برهانان ، تورع الشاعر فى أولهما أن ينسب لنفسه ما لم يقله وما لم يكتبه ، وفى الآخر لم يجد الشاعر بأساً من سرقة أدبية هبطت عليه من السماء !

وعندنا أن السرقات الأدبية تسامت إلى حد كبير السرقات المادية واتجاه التشريع إلى حماية الملكية الأدبية اتجاه محمود ، وسارق « القصيدة » الذى لا يعاقب أنكى جرماً من سارق « الدجاجة » الذى يقضى فى السجن عدة أشهر . ولو أننا بالغنا فى حماية الملكية الأدبية لخلقنا جيلا من الأدباء مهذبا لا يتجانف لإثم سرقة الأفكار والآراء

وأحسبنى أرسلت فى « الرسالة » كلمة قبل بضع سنين أعتب فيها على الدكتور زكى مبارك أن نسب لنفسه هذه القولة « الشهرة كالمال بعضها حلال وبعضها حرام » وقلت له إن هذه المقالة البليغة إنما هى من كلام المرحوم الشيخ يوسف الدجوى ، فرجع الرجل إلى الحق وكتب معتذرا ولم يكابر ولم يصاول .

وكان صديقنا الأستاذ كامل كيلانى - ولا يزال - برى وجوب حفظ الحق الأدبى لصاحبه ، ولو كان هذا الحق يتصل بملحة أو نكتة أو « قفشة » فلا ينسب المرء لنفسه كلاما سمعه من أحد ، وإنما يرد القول لقائله على طريقة رواة الأحاديث ، ولو أن هذه الطريقة اتبعت ما كذب أحد على نفسه ولا على الناس .

***

بيد أننا منينا فى هذه الأيام بالسرقات الأدبية تترى علينا فى صورة كتب تنشر أو مقالات تكتب ، ولقد كنا نبصر فى زمن مضى بالسرقات الأدبية تنصب على الموتى وحدهم ، غير أننا نرى فى هذه الآونة السرقات الأدبية قسمة قسمة عادلة بين الأحياء والأموات ، وما نحب أن نذكر أسماء فنلفت التشهير قصدنا ، ولكنما نريد أن ننبه وأن نذكر قبل أن يستشرى الداء ويعسى العلاج شيئا بعيد المنال .